بسم الله الرحمن الرحيم

# الحرب الناعمة في البعد النفسي

د. علي الحاج حسن

استاذ الفلسفة – الجامعة اللبنانية

مقدمة

يقوم جوهر الحرب الناعمة على مباديء عديدة من ابرزها السرية والخفاء في ايجاد ارضية الموارد الناعمة، التخطيط المسبق ، تحديد الاهداف المطلوبة بدقة والاهم من ذلك كله العمل على اساس الجاذبية.

تلعب الجاذبية الدور الاهم والابرز في نجاح الحرب الناعمة ، لا بل هي المعيار والمؤشر الحقيقي لمدى قدرتها للوصول الى الاهداف المرسومة. وعلى هذا ، فالحرب الناعمة تعتمد على مدى انجذاب الفرد والجماعة ومدى الاستجابة عندهما، فكلما تمكنا من تحويل تفضيلات الآخرين وكلما سيطرنا على ما يريدون عند ذلك تكون حربنا الناعمة فاعلة ، ناجحة ومؤثرة.

الحرب الناعمة تحصل من دون ضجيج ، لا يسمع فيها ازيز القذائف ولا اصوات المدافع، ولا تستخدم فيها الاسراب والغارات الجوية . والحرب الناعمة لا تخضع للقوانين والمعاهدات الدولية التي تحكم قواعد الحروب العسكرية ومفاوضات السلام والهدنة...، بل هي حرب اكثر تعقيداً يديرها الخبراء والمتخصصون عن بُعد وثمرتها احتلال العقول والقلوب وتدمير المواقع والقيم السياسية والثقافية عند المستهدفين.

لم يعد مجدياً في الوقت الراهن انكار وجود الحرب الناعمة وتبنيها من قبل جهات وافراد، فهي في احد ابعادها تعود الى الطبع البشري الذي يسعى بكل ما اوتي من قوة على تقديم ما يملك وما ينتج من افكار وقيم وبضاعة على انها الافضل وان ما عداها ليس بهذا المستوى، وهناك الكثيرون ممن يبذلون جهودهم للتدليل على جمال وجذابية وافضلية ما صنعوا. ومع ذلك كله اصبحت الحرب الناعمة مادة تدرس في كلية الدراسات العسكرية لقوات البحرية الامريكية.[1]

دخلت فكرة الحرب الناعمة لتشكل استراتيجية رسمية للادارة الامريكية حملت عنوان " المكافحة الناعمة لحركات التمرد".[2]

- الحرب الناعمة والادراك

تعمل الحرب الناعمة وبشكل مركز على الاحاطة بادراك الانسان وتشكيل وعيه ومعرفته حيث تحيط القدرات الذهنية للشخص بالمقدمات والادلة التي تجعل هذا الوعي واقعاً تحت سيطرتها . وبما ان الجهاز الادراكي للانسان مصمم في تكوينه على الانفعال والشعور بالخطر امام القضايا والتهديدات المحسوسة ، ولان الحرب الناعمة غير مشاهدة بالوسائط المحسوسة، لذلك كانت احاطتها بالذهن والمعرفة وايصال الشخص الى مرحلة الانفعال تقوم على اساس مجموعة من الادوات التي تقدم الدليل تارة وتجمل القبيح تارة اخرى وتهدم ادلة الطرف المقابل تارة ثالثة وكل ذلك على اساس انجذاب الفرد . اذاً الحرب الناعمة تعمل على تشكيل قناعات الآخرين عبر ادواتها ، فإذا ما نجحت في ذلك انتقل الادراك البشري الى ما تقتنع به الجهة التي تشن هذا النوع من الحروب.

---

[1] مقال تحت عنوان " الحرب الناعمة والحرب الذكية ، فكر مرة اخرى"، آنا سيمونز، منشور على موقع ابحاث السياسة الخارجية الامريكية 2012/4/4.

[2] مقال : افكار اميركية لمواجهة حزب الله بعد سوريا، حسام مطر، جريدة السفير ، 2014/5/10.

ولكي لا نذهب بعيداً ، يمكننا الرجوع الى عبارات ابرز منظري الحرب الناعمة ، اي جوزيف ناي حيث يقول في كتابه "القوة الناعمة" : " ترتكز القوة الناعمة على القدرة على تشكيل تفضيلات الآخرين..."[3] وهذا بحد ذاته يتضمن جوهر الحرب الناعمة ، بمعنى ان الحرب الناعمة تصيب اذا خاطبت الجهاز الادراكي للانسان واوصلته الى مستوى يتشكل على اساسه القناعة والميل والقبول، ويتضمن ايضاً الدلالة على ان من يقوم بالحرب الناعمة، يخطط ويضع البرامج ويُعرف الاهداف التي يريد الوصول اليها ومن هنا يعمل لتشكيل تفضيلات الآخرين.

ثم اردف جوزيف ناي في كتابه المميز متطرقاً الى جوهر وحقيقة هذه الحرب ليقول :"...بل انها تنطوي ايضا على القيادة بالقدوة "[4] . وفي هذه العبارة دلالة واضحة على العمل لتشكيل قناعات الانسان والسيطرة على مدركاته.

ان القدوة سواء كانت شخصاً او فكرة ... تغير وتبدل القناعات لان المستهدف يشعر امامها بالنقص الذي لا بد من بلوغه للوصول الى كمال متصور . مع العلم ان هذا الكمال قد لا يكون كمالاً يحيط بكافة الابعاد الوجودية للانسان ، بل هو كمال في جهة وقد يكون سقوطاً في جهات اخرى.

- اساليب الاقناع

يمكن الحديث عن عدد كبير من الاساليب المفيدة في اقناع الآخر ، اذ ان لكل بنية ذهنية ما يناسبها من الاساليب التي يمكن اللجوء اليها اثناء تشكيل وعيه.

---

[3] جوزيف ناي، القوة الناعمة ، مكتبة العبيكان 2007 ، ص25

[4] م. ن.

طبعا هنا لا بد من التفريق والتمييز بين العلم وتطوره وانتشاره وبين تشكيل تفضيلات الآخرين اي الحرب الناعمة؛ بمعنى ان للعلوم وعلى اختلافها اساليب واضحة ومبينة تلعب الدور الاساس في صدق او كذب نتاجات العلوم وعليها يتوقف قبول او عدم قبول تلك العلوم. وتختلف المسالة في الحرب الناعمة ، بمعنى ان اساليب الاقناع ليست اساليب علمية توصل الى اليقين العلمي، بل ما يميز الحرب الناعمة انها تعتمد اساليب غير حقيقية او اساليب وهمية وظيفتها الاساس تجميل ما ليس بجميل واحاطته بالامور التي تجلعه جذاباً للآخرين فقط.

وعلى هذا الاساس يمكن الحديث عن عدد كبير من الاساليب باعتبار ان كل اسلوب او اداة جذابة ، تصلح لخوض حرب ناعمة ضد الآخرين . وهنا سنشير وباختصار الى البعض منها:

1- الاشاعة

الاشاعة خبر غير موثق يعتمد على الاجماع في القول بمعنى ان صحته واعتباره يعود الى تواتره وشيوعه. ترتبط صحة بعض الاخبار والمعلومات بكونها متواترة على الالسن من دون دليل حقيقي.[5]

عندما يتم تداول خبر او معلومة في الكثير من وسائل الاعلام وعندما يتحدث الافراد حول قضية معينة بشكل واسع ، يصبح هذا الخبر وهذه المعلومة على مقربة من الصدق، لذلك قد نسمع على لسان العرف الشعبي ان القضية الفلانية صحيحة لان الجميع يتحدث بها.

[5] راجع: علي محمد النائيني، اصول ومباديء الحرب الناعمة، طهران، مطبعة ساقي، ط1، ص175.

على كل الاحوال تظهر الاشاعة عند وجود حالة من الجهل وعدم العلم ، وعند وجود معرفة موثقة لا مجال لانتشار الاشاعة. وتظهر الاشاعة ايضا عندما يكون الموضوع هاماً عند اغلب المخاطبين ، فالامور غير الهامة لا توثر الاشاعات فيها اذ انها لا تحرك الاذهان البحاثة. وعلى هذا الاساس فالاشاعة ترتبط في انتشارها بعاملين اساسيين : الابهام والاهمية.ومن هنا يمكن القول ان كل مسألة هامة في المجتمع ، هي فرصة يستفيد منها البعض لاغراقه بالاشاعات التي تخدم اهدافاً محددة.

وتساهم الاشاعة في تشويش الاذاهان وتحويل اهتمامها نحو قضايا وابعاد ليست حقيقية وعليه كانت الاشاعة ومنذ القديم احدى ابرز اساليب وتكتيكات الحرب النفسية والناعمة.

2- الدعاية

الدعاية هي انتقال معلومات وافكار وعقائد من شخص او مصدر الى آخر والعمل على تثبيته وجعله واقعاً. وتمتاز بان موضوعها واقعي ومجهول عند المخاطب على اساس ان المخاطب قد يكون غير مهتم وغير محيط بما يروج له، فتأتي الدعاية لتجعله في صدارة الاهتمام. كما ان الدعاية بالاضافة الى ذلك ، عمل عمدي عن سابق اصرار بهدف جعل المخاطب مقتنعاً.[6]

تلعب الدعاية دوراً محوريا في الحرب النفسية والحرب الناعمة بمعنى انها توجه الاهتمام نحو قضايا غير مثارة فيتفاعل معها المخاطب ويخلط بينها وبين الحقائق ذات البعد المعرفي ، فتتشكل معرفته على اساس الدعاية التي تضيء على بعد او ابعاد من قضايا ليست ذات ارتباط بَيّن بالمسألة. وعليه يمكن القول ان للدعاية دور في الاقناع وتشكيل الوعي بينما

[6] م.ن.، ص177.

الواقع والحقيقة قد يكون شيئاً آخر او بعد الاخذ بعين الاعتبار جوانب وابعاد اخرى من القضية وهذا ما سنلاحظه عند الاشارة الى بعض النماذج العملية للحرب الناعمة والتي تظهر فيها الدعاية والاشاعة ودورهما في تشكيل الوعي.

3- سوء الاستفادة من الامكانيات الذاتية

عندما يحاول العدو الاستفادة من الامكانيات الذاتية ومواطن القوة الموجودة ، بالشكل السلبي ، عند ذلك يضمن العدو الترويج لافكاره ويساهم في ايجاد حالة من الابتعاد والرفض والانكار لمواطن القوة هذه. ويصبح الفرد والجماعات غير مستعدين لقبول ما بين ايديهم فيعملون على استبداله بما يصدره الآخر وهو العدو.

لعل من ابرز ما يمكن الاشارة اليه في هذا الخصوص ، كلام جين شارب في كتابه" المجتمع المدني ، النضال المدني" حيث يؤكد على ضرورة الاستفادة الآلية من علماء الدين في النضال المدني. ويضيف بان على قادة الحركات النضالية تنظيم انشطتهم بما يجعل حركة علماء الدين تصب في مصالحهم.[7]

يتضح من خلال ذلك ان نقاط القوة عند جماعة قد تتحول الى اداة لتغيير افكارها وقيمها اذا تمكن العدو من استغلالها والسيطرة عليها.

4- ايجاد نماذج ثقافية واجتماعية

من الواضح ان ايجاد النماذج بالاخص الثقافية والاجتماعية ، يلعب دوراً كبيراً على مستوى حياة الافراد . ولعل من ابرز الاساليب المتبعة في الحرب الناعمة ، السيطرة على الاذهان من

[7] نقلا عن : احمد حسين شريفي ، الحرب الناعمة ، اصدار مؤسسة الامام الخميني التعليمية والبحثية ، قم، 1389هـ.ش، ص132.

خلال تقديم النماذج التي تتماهى الى حدود كبيرة مع ثقافة الآخر. وتساهم عملية النمذجة هذه في ايجاد فضاء ثقافي وقيمي مختلف تماماً عما هو سائد.

ان نظرة سريعة على حياتنا اليومية وكيفية تطورها يرشدنا وبوضوح الى التغيير الكبير في نمط الحياة وسيطرة ثقافة التقليد والاقتداء بالنماذج المنتجة في الغرب ، وهذا ما نشاهده في محطات كثيرة بدءً من الموضة والاكل والملبس والتصرفات التي تصدر عن الافراد بحيث اضحى الكثير من الافراد يعتبرون ان شخصيتهم مركبة على اساس سلوك تلك النماذج والقدوات مع العلم ان الثقافة الذاتية والبيئة التي يعيشون فيها قد تكون على تعارض مع تلك الامور فكيف اذا وصل الامر الى التخلي الكامل عن القيم الذاتية بما يستتبع ذلك من نسخ للشخصية واعادة بناء شخصية اخرى تتماهى في الظاهر مع النماذج وتتعارض مع الثقافة الداخلية .[8]

ما تقدم هو بعض العناوين التي تسهل التأثير على المدركات البشرية ويبقى القول ان ادوات واساليب الحرب الناعمة ليست محدودة ، بل متجددة وذلك تبعاً للحاجة.

ويمكن القول ان الذهن البشري يتمكن من ابداع الطرق و...التي توصله الى مطلوبه اي السيطرة على الذهن البشري.

- نماذج من الحرب الناعمة في البعد النفسي

يتنافس الافراد وكذلك الجماعات في الاساليب والآليات التي تقنع الآخرين، لذلك فالنماذج لا حَدّ ولا حصر لها، ومع ذلك يمكن الاشارة الى بعض النماذج الموجودة التي دونتها الوثائق حيث تمتاز بانها من ابرز مصاديق الحرب الناعمة في البعد النفسي فهي تتضمن في جناباتها،

[8] م.ن،ص 146- 148.

التخطيط المسبق والعمل الجدي لتغيير المزاج العام والسيطرة على المدركات. وهنا يمكن الاشارة الى مجموعة من العناوين:

1- ابحاث النفس والدماغ

كشفت صحيفة النيورك تايمز عام 1977 في مقال يحمل عنوان " CIA تسعى لأسر واستعباد العقل البشري" عن مشروع تقوم به الاستخبارات الامريكية ووزارة الدفاع في محاولة للسيطرة على الدماغ والعقل البشري والادراك الحسي من خلال تطوير مجموعة من الوسائل والتقنيات ويهدف الى تجنيد العقل البشري وتوجيهه وضبط سلوكه وفقاً للمشارع والاهداف الامريكية.

بدأت العملية عن طريق عمليات نفسية وحسية لبرمجة وعي وسلوك المجندين والعملاء والجواسيس وبعد ذلك طُبق على الاسرى بهدف تحويلهم الى عملاء مزدوجين.

شارك في هذا المشروع امهر الاطباء وعلماء النفس وشمل ما يزيد عن 44 جامعة و12 مؤسسة استشفائية وطبية.[9]

وقد تطورت هذه العملية وقدمت دراسات وابحاث كانت في معظمها تركز على عقيدة تقول: "ان صناعة بيئة محددة تحمل منظومة من القيم سيعطي نتائج محددة من السلوكيات " ، ويتم صناعة تلك البيئة بمساعدة علوم البرمجيات اللغوية وعلوم اعصاب الدماغ.[10]

والنتيجة هي التأثير والتلاعب بالوعي بهدف السيطرة عليه والتحكم بتصرفاته وسلوكياته ومواقفه وتوجيهه نحو افكار ونماذج وسلوكيات جديدة، وعلى اقل التقادير احداث نوع من

[9] نعومي كلاين ، عقيدة الصدمة ، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع ، ط 2009، ص31.
[10] سامي الموصللي ، برمجة الوعي، دار شعاع 2008،ص85.

الاضطراب النفسي وبلبلة الافكار المفضية الى حالة من التقاعس والتشويش والاضطراب النفسي والسلوكي ، لان خلق بيئة فكرية ونفسية مضطربة للافراد والجماهير شرط لازم لتحضير الارضية الضرورية لتقبل النماذج والسلوكيات المصممة مسبقاً.[11]

2- السيطرة على النخب ووضع البرامج

مما لا شك فيه ان ايجاد نخب تحمل فكراً وسلوكاً مختلفاً عن المحيط يترك آثاراً كبيرة على مستوى افكاره وسلوكياته وتوجهاته. والنخب بما تحمل من افكار وبرامج اداة من ادوات الحرب الناعمة التي يمكن من خلالها التحكم بتفضيلات الآخرين والسيطرة عليهم.

قد يعتبر هذا العنوان من اكثر العناوين تعقيداً ومنفعة ، فمن جهة يتطلب جهوداً طويلة الامد حيث لا يمكن حصد النائج في فترة زمنية قصيرة وهو كثير التفاصيل بالاضافة الى ان هذا النحو من الاعمال يحمل معه فوائد ومنافع جمة اذ بامكانه تغيير مجتمع بالكامل ، باعتبار ان تغيير السلوكيات والافكار... يغير المجموع.

في هذا الاطار يمكن الحديث عن مجموعة من كبيرة من المصاديق ، نكتفي بالاشارة الى مقال نشره الموقع السويسري ، يحمل عنوان :"بعد 90 عاماً... الجامعة الامريكية لا زالت تثير الجدل في مصر".[12]

سلط المقال الضوء على الجامعة الامريكية في مصر. وفي حديث مع احدى المهتمات بشؤون الجامعة ، يتحدث التقرير على لسان د. ليلى بيومي تقول: "في اعتقادي الشخصي ، ان

---

[11] م.ن.

[12] WWW.SWISSINFO.ch/ara/detakl/content.html?cid=7216568

مصر لم تجن شيئاً ايجابياً من الجامعة الامريكية طوال90 عاماً وانما أثرت تأثيراً يلبياً ، حيث خسرت الكثير من صفوة ابناءها ، ممن تم تغريبهم عن وطنهم وابعادهم عن دينهم..."[13]

انما تقدم هو بعض قليل مما يساهم في تشكيل الوعي عند الفرد والجماعة باعتبار ان المباشر لها بوسعه ابداع كافة الاساليب والادوات لتحقيق اهدافه، وهنا نشير باختصار الى ابرز العناوين في هذا الاطار: المناهج التربوية، الوسائل التعليمية، ثورة التكنولوجيا والمعلومات، الاصدارات والنتاجات الفكرية... فإذا كانت هذه الامور هي الاساس في تشكيل الوعي ، عند ذلك يجب ان نتوقع صيرورة الذهن طبقاً لما يريده الآخرون وبالتالي نفوذ الحرب الناعمة الى القيم والسلوكيات على اختلافها.

[13] راجع: الحرب الناعمة، الاسس النظرية والتطبيقية، مركز الحرب الناعمة للدراسات، ط2014، ص138-140.